

1

الفصل الأول

الأوضاع العامة في بلاد اليونان حتى القرن الخامس قبل الميلاد

أولا : التعريف ببلاد الإغريق وأثر البيئة الجغرافية في تشكيل المدن اليونانية

ثانيا : الحياة السياسية والنظم الإدارية

ثالثا : الحياة الاجتماعية ومكانة المرأة لدى الإغريق

رابعا : العمارة الإغريقية

خامسا: أبرز القوى العظمى المتآخمة لليونان: (المملكة الأخمينية)

سادسا : العلاقات الأخمينية – اليونانية 559-330 ق.م

سابعا : النظم الإدارية في الدولة الأخمينية

ثامنا : الحضارة الفارسية في العصر الأخميني وموقعها في التاريخ القديم

الأوضاع العامة في بلاد اليونان حتى القرن الخامس قبل الميلاد

أولاً : التعريف ببلاد الإغريق وأثر البيئة الجغرافية في تشكيل المدن اليونانية

إذا ما دخلنا البحر الأبيض المتوسط الذي يعد أجمل البحار كلها وتركنا من خلفنا المحيط الأطلنطي ومضيق جبل طارق، انتقلنا من فورنا إلى حلبة التاريخ اليوناني . وقال أفلاطون عن بني وطنه الذين استقروا في هذا الميدان: "لقد نزلنا في شواطئ هذا البحر كما تنزل الضفادع حول بركة الماء"⁽¹⁾. على هذه الشواطئ النائية ، نشأت بلاد اليونان كمستعمرات مزعزعة غير وطيذة الأساس يحيط بها البرابرة من جميع الجهات : في همرسكوييوم Hemeroscopium وأمبورياس Ampurias في إسبانيا، ومرسيليا ونيس في فرنسا، وفي كل مكان تقريباً بإيطاليا وصقلية. وأنشأ المستعمرون اليونان مدناً زاهرة في قوريني Cyrene بشمال إفريقيا وفي نقراطس بدلتا النيل، وبعثت مغامراتهم النشيطة الحركة والحياة في جزائر بحر إيجة وشواطئ آسيا الصغرى في ذلك الوقت البعيد ، كما تبعثها فيها هذه الأيام ، وشادوا مدناً كبيرة وصغيرة لتكون محاطاً لتجارتهن الواسعة على شواطئ الدردنيل وبحر مرمرة والبحر الأسود ، ولم تكن أرض اليونان الأصلية إلا جزءاً صغيراً من العالم اليوناني القديم⁽²⁾.

ترى لماذا نشأت مجموعة الحضارات الثانية على شواطئ البحر الأبيض، كما نشأت المجموعة الأولى قبل ذلك على ضفاف الأنهار في مصر وأرض الجزيرة والهند، وكما ازدهرت الثالثة بعدها على شواطئ المحيط الأطلنطي، وكما يحتمل أن تنشأ الرابعة على شواطئ المحيط الهادي؟ هل كان السبب في نشأتها هو اعتدال مناخ البلاد المطلة على هذا البحر؟ لقد كانت الأمطار السنوية تروي الأرض وتخصبها في الزمن القديم كما ترويهما وتخصبها في هذه الأيام، وكان البرد المعتدل يبعث في أهل البلاد النشاط، وكان في وسع الأهلين أن يعيشوا في الهواء الطلق طول العام تقريباً، تدفئهم الشمس ولكنها لا توهن أجسامهم. ومع هذا فإن سطح الأرض حول هذا البحر وفي جزائره لا يبلغ من الخصب في مكان ما مبلغ أرض الأدوية الغرينية في أحواض الكنج أو السند أو دجلة أو الفرات أو النيل. وقد يبدأ جفاف الصيف مبكراً عن عادته، أو قد يطول أكثر مما يستحب، وتجد في كل مكان فيه الأرض الحجرية لا تبعد إلا قليلاً عن القشرة الغرينية المتربة الرقيقة. وتقع إلى شمال هذه الأراضي التاريخية بلاد معتدلة المناخ وإلى جنوبها أرض مدارية، وكلها أخصب منها تربة. ولما أضنى الجهد الفلاحين سكان شواطئ البحر الأبيض وجزائره، ووجدوا أن التربة لا تجود عليهم بما يعوِّض عنهم جهودهم، أخذوا يتخلون عن فلحها شيئاً فشيئاً، ويستبدلون بذلك زراعة الزيتون والكروم.

الأوضاع العامة في بلاد اليونان حتى القرن الخامس قبل الميلاد

وكانت تلك البلاد تتعرض من حين إلى حين إلى أخطار الزلازل ، فتنشق الأرض تحت أقدام السكان على طول بعض العيوب الأرضية التي تعد بالمئات، فترهبهم وتدفعهم إلى نوبات من التقى والإيمان. ولم يكن المناخ وحده هو الذي جاء بالحضارة إلى بلاد اليونان.

فالسبب الآخر الذي جذب الناس إلى بحر إيجه فهو جزائره، فلقد كانت هذه الجزائر جميلة، ولا ريب في أن الملاح المتعب كان ينشرح صدره حين يرى اختلاف ألوان التلال المظلمة التي تقوم كالهياكل فوق مياه البحر وتنعكس عليها. وقلما يجد الإنسان في هذه الأيام مناظر أجمل من منظر هذه التلال أو أكثر منها إثارة لحاسة الجمال. وإذا ما طاف الإنسان ببحر إيجه أدرك لساعته لم أحب سكان هذه الشواطئ والجزائر بلادهم حبهم للحياة أو أكثر منها، ولم كانوا يرون كما رأى الفيلسوف سقراط أن النفي أشد ألماً من الموت. يضاف إلى هذا الجزائر منثورة كاللآلئ في جميع الجهات، وكان يراها متقاربة فلا تكاد سفينة تبعد عن الأرض أكثر من أربعين ميلاً، سواء أكان مسافراً من الغرب إلى الشرق أم من الشمال إلى الجنوب⁽³⁾. وإذا كانت هذه الجزائر البارزة فوق سطح الماء هي قلل سلاسل جبلية قديمة، متصلة بعضها ببعض، كسلاسل الجبال في بلاد اليونان القارية ، طغى عليها البحر على توالي الأيام، فإن عين الملاح المرتقب كانت تقع على الدوام على قلة من هذه القلائل المحببة كأنها تحييه وترحب بمقدمه : وكانت أشبه بمنارات تهتدي بها السفن في وقت لم تكن تهتدي فيها بالبوصلة البحرية. وفوق هذا كله فإن حركات الرياح والماء كانت تعين الملاح على الوصول إلى هدفه. فقد كان تيار مائي قوي أوسط يسير من البحر الأسود إلى بحر إيجه، وكانت تيارات أخرى مضادة له تسير نحو الشمال محاذية لشواطئ البحر، وكانت الرياح الشمالية الشرقية تهب بانتظام في فصل الصيف فتساعد السفن التي خرجت من موانئها لتأتي بالحب والسمك والفراء من البحر اليكسيني Euxine على العودة إلى موانئها في الشمال. وكان الضباب نادراً في البحر الأبيض، كما أن أشعة الشمس التي لا تكاد تحتجب عنه ينشأ منها بالليل وبالنهارة نسيم البر والبحر، حتى ليستطيع الإنسان من بدء الربيع إلى آخر الخريف أن يستعين في أي ثغر من ثغوره- إلا القليل النادر منها - بنسيم الصباح في خروجه منه وبنسيم المساء في عودته إليه⁽⁴⁾.

في هذه البحار الصالحة للملاحة قامت الحضارة المينيوية (حضارة كريت) التي بلغت ذروتها في حوالي عام 1600 ق.م، وبعد قرن واحد تقريباً دمرت قصورها، وربما كان هذا بفعل الزلازل، لأن الأبحاث الحديثة تشير إلى حدوث انفجار بركاني كبير في جزيرة (ثيرا)

الفصل الأول

في وقت يوافق هذا الدمار. لذلك قيل إن سبب الكارثة قد يكون موجات مدية عاتية وزلازل أصابت جزيرة كريت التي تبعد عنها حوالي سبعين ميلاً (أي ما يقرب من 100 كم)، تلاها هبوط غيوم من الرماد خربت حقولها. ولكن إذا كان هذا التفسير صحيحاً فإن هذه الكارثة الطبيعية إنما قصمت ظهر ثقافة واحدة ولم تكن نهاية الحضارة الباكرة في كريت، لأنها سوف تعرف أزمنة مزدهرة بعد. ورغم أن سيادة حضارتها الأصلية زالت، فإن شعباً من اليونان سوف يأتي ويسكنها لمدة قرن آخر عرفت فيه الازدهار من جديد. إلا أنها في بداية القرن الرابع عشر ق.م خربت مرة ثانية بفعل الحرائق ولم يتم بناؤها من بعدها، وهكذا تنتهي قصة حضارة كريت الباكرة.

بعد أكثر من ألف سنة كانت التقاليد اليونانية تقول إن كريت كانت تسيطر على بحر إيجة بفضل قوتها البحرية، ولكن هذه الفكرة قد ضخمت كثيراً، فربما كان للمينيويين سفن كثيرة ولكن من المستبعد أن يبلغوا حد الاختصاص في ذلك التاريخ الباكر، ولا يمكنك في عصر البرونز أن تميز بين التجارة والقرصنة، والقرصنة المضادة⁽⁵⁾. إلا أن المينيويين كانوا على كل حال مطمئنين إلى الحماية التي يؤمنها لهم البحر، إذ إنهم كانوا يعيشون في مدن غير محصنة قريبة من الساحل وعلى أرض غير مرتفعة كثيراً. وقد استغلوا البحر مثلما استغلت شعوب أخرى بيئاتها الطبيعية، وحفزهم هذا الأمر على تبادل البضائع والأفكار، فكانت لهم ارتباطات وثيقة بسوريا قبل عام 1550 ق.م، وكانت بضائعهم تنقل على سواحل بحر الأدرياتيك. والأهم من هذا هو تغلغلهم في اليونان، فربما كان المينيويون أهم منفذ انتقلت من خلاله بضائع وأفكار الحضارات الأولى في أوروبا في عصر البرونز. وتجد منتجات كريت في مصر أيضاً ابتداءً من الألف الثانية ق.م، وتلاحظ تأثير الفن الكريتي في فن المملكة الحديثة، وقال بعضهم أن المينيويين قد حاربوا مع جانب المصريين ضد الهكسوس. لقد وجدت المزهريات والبضائع المعدنية الكريتيّة في أماكن عديدة من آسيا الصغرى أيضاً، وكان المينيويون يزودون البر بمنتجات كثير غيرها مثل الأخشاب والعنب والزيت وحتى الأفيون، وكانوا بالمقابل يأخذون المعادن من آسيا الصغرى، والمرمر من مصر، وبيض النعام من ليبيا، ولقد كان ذلك العالم عالمًا نشيطاً.

لقد مكنت الثروة المينيويين من العيش بأبهة، وأجمل شاهد عليها هي قصورهم، إلا أن المدن أيضاً كانت حسنة البناء ومجهزة بأنايب تصريف مجاري محكمة. أما الإنجازات الأخرى فهي فنية أكثر منها فكرية، إذ يبدو أن المينيويين قد أخذوا الرياضيات عن مصر وتركوها على

الأوضاع العامة في بلاد اليونان حتى القرن الخامس قبل الميلاد

حالتها، وزالت ديانتهم بزوالهم من غير أن تترك شيئاً للمستقبل على ما يبدو، بينما أثر الفن المينوي في أساليب حضارات أخرى، وما زال حتى اليوم فناً بديعاً تتجلى عبقريته في صورته، وقد بلغ ذروته في الرسوم الجدارية التي تجدها في القصور والتي تتصف بحيوية وحركة مدهشتين، كما أنه أسلوب أصيل بحق قلده شعوب ما وراء البحار في كل من مصر واليونان، وسوف يساهم هذا الأسلوب من خلال فنون القصر الأخرى أيضاً، خاصة منها فن شغل الأحجار الكريمة والمعادن الثمينة في تحديد أساليب الموضة في الخارج.

يعطينا الفن اليوناني أيضاً أدلة على أسلوب حياة الكريتين، ويبدو أنهم كانوا يرتدون ملابس قليلة، فيصوّر النساء عاريات الصدر عادة والرجال حليقيين، كما تجد صور الأزهار والنباتات بوفرة توحى بتقدير عفوي لنعم الطبيعة. ويبدو أن المينويين لم يجدوا العالم مكاناً منفراً. وتشهد على ثروتهم جرار الزيت الكبيرة والجميلة التي وجدت مصفوفة في قصورهم، ويظهر اهتمامهم بالراحة والجمال الأنيق بوضوح في رسوم الدلافين والزنابق التي تزين غرف ملكة مينية. كما يبدو أن العبادة كانت تتمحور حول شخصية أنثوية ربما كانت إلهة خصب نيوليتية من اللواتي يظهرن المرة تلو المرة في كافة أنحاء الشرق الأدنى كتجسيد لطاقة الأنثى الجنسية، مثل عشتر وأفروديت في أزمان لاحقة. وتراها في كريت ترتدي تنورة أنيقة، عارية الصدر، واقفة بين أسدين وممسكة بثعبانين. أما وجود إله (ذكر) فهو أمر غير واضح، والرسوم الجدارية التي تصور هذه الحيوانات النبيلة، خاصة إذا ربطناها بالأساطير اليونانية اللاحقة، لأن أوروبا أم مينوس قد أغراها الإله زفس بشكل ثور، كما أن (باسيفايه) زوجة مينوس ضاجعت ثوراً فولدت وحش المونيتور، الذي كان نصفه ثوراً ونصفه الآخر رجلاً، هذا عدا عن طقوس القفز على الثيران، وهي طقوس غامضة ولكنها هامة. وعلى كل حال لا تبدو ديانة كريت ديانة كئيبة، إذ أن اللوحات الجدارية التي تمثل أنواع الرياضة والرقص لا توحى بشعب حزين.

أما الحكم في الحضارة المينوية فما زال أمراً غامضاً، لقد كان القصر أشبه بمركز اقتصادي، أي أنه كان مخزناً كبيراً للسلع يعيد الحاكم توزيعه، وكان معبداً أيضاً ولكنه لم يكن قلعة، وفي فترة نضجه كان مركز بنية عالية التنظيم، ربما كانت مستوحاة من آسيا. كان المينويون يعرفون الكتابة ويحفظون السجلات، ولا نعلم شيئاً عن أديهم، ولكننا نعلم أشياء قليلة عن إدارتهم من خلال مجموعة هائلة مكونة من ألف الرقم وجدت في القصر، وتدل على ما كانت الحكومة تطمح إليه على الأقل، أي الإشراف على الأمور إشرافاً شديداً ومحكماً لا تجد مثيلاً له إلا في إمبراطوريات آسيا مصر.

ثانيا : الحياة السياسية والنظم الإدارية .

لقد كانت الشرائع في بلاد اليونان في الفترات اللاحقة خصوصا بين القرنين 7-3 ق. م غير مكتوبة يتناقلها الخلف عن السلف ويحفظونها عن ظهر غيب، فمثلا كان يسهل على القاضي أن ينحاز في حكمه لمصلحة من يقدم أكبر رشوة له، ومن هنا فقد ثار الشعب اليوناني مطالباً بضرورة تدوين القوانين الموروثة في كتاب مخصص يحفظها من تلاعب القضاة المرتشين. وبعد جهاد طويل كاد أن يؤدي إلى حرب أهلية في أثينا نتيجة السخط من قبل كل الطبقات ظهرت في بلاد اليونان حركات إصلاحيات عديدة، قام بها مصلحون لأجل الوصول بالشعب اليوناني إلى درجات عالية من الرفاهية والازدهار. ومنها قوانين دراكو التي نسقها هذا المصلح وسماها باسمه سنة 642 ق. م، ولكنها كانت بمنتهى القسوة تنص على عقوبة الإعدام لأغلب القضايا والجرائم التي كانت سائدة في النظام الإقطاعي، غير أنه بالمقابل لم يرد شيئا في شرائعه يتعلق بإنقاذ المدينين والمرتتهنين من العبودية، بحيث بقيت الأوضاع المعاشية سيئة للفلاحين المستغلين من قبل مالكي الأراضي⁽⁶⁾. ولعل أبرز المصلحين الذين ظهوروا بين القرنين السادس والسابع قبل الميلاد: صولون Solon الشاعر والمشرع اليوناني الذي عاش بين (640-560 ق. م)، وهو إلى جانب كونه شاعرا وحكيما من حكماء اليونان السبعة ، وكان أيضا من السياسيين اللامعين ، فقد انتخبه أهالي أثينا حاكما ، فقام بإصلاحات تشريعية وإدارية ، وسميت هذه التشريعات باسم تشريعات صولون.

ولم يكن صولون حكيما وشاعرا وحاكما فحسب ، ولكنه كان من رواد الديموقراطية في أثينا ، وكان له الفضل في إلغاء نظام الرق الذي كان يسمح بإسترقاء الفلاحين إذا عجزوا عن سداد ديونهم، وبذلك كسر شوكة النبلاء وتعامل معهم كما يتعامل مع الفقراء سواء بسواء⁽⁷⁾. وإلغاء نظام الرق يعد أول إصلاح دستوري في تاريخ اليونان، فقد حرر صولون الأرقاء وحمى الحرية الشخصية للأجراء والبسطاء وضمهم بالإنتخاب ، ولمن تجاوز سن الثلاثين منهم إلى مجلس الأعيان الذي يقوم بتصريف شؤون الدولة التي يعرضها مجلس الولاية لدراستها من غير أن يكون لهم سلطان عليهم. وبذلك وضع صولون في أثينا أحد الأسس الديموقراطية التي تتيح للمواطن العادي أن يشارك في السياسة والحكم⁽⁸⁾.

لقد انغمس صولون في شبابه فيما كان ينغمس فيه أهل زمانه: فكان يقرض الشعر ويتغنى بملان "الصدقة اليونانية"، وفعل ما فعله تتراروس Tyrtaetus فأثار حماسة الناس بشعره ودفعهم إلى فتح سلاميس. ثم صلحت أخلاقه في سن الكهولة صلاحاً يتناسب تناسباً عكسياً مع شعره، فأصبحت أشعاره فاترة ونصائحه جيدة.

الأوضاع العامة في بلاد اليونان حتى القرن الخامس قبل الميلاد

أنظر مثلاً إلى قوله في أشعاره: "إن الكثيرين من الناس أغنياء ، ولكنهم لا يستحقون هذا الغنى، على حين أن من هم خير منهم يقاسون آلام الفاقة. ولكننا لن نستبدل حال هؤلاء الأغنياء بحالنا، لأن ميزتنا باقية دائمة ، أما ميزتهم فإنها تنتقل من إنسان إلى إنسان"، وثروة الغني ليست أعظم من ثروة من لا يملك إلا معدته ورئتيه وقدميه ، وهي الأعضاء التي تأتيه بالسرور ولا تأتيه بالألم ؛ وليست خيراً من محاسن الفتى أو الفتاة أو نضرة شبابه أو شبابها، أو من وجود ينسجم مع صروف الأيام".⁽⁹⁾

واشتغل صولون بالتجارة وأصبح من التجار الناجحين ذا مصالح كثيرة في أقطار بعيدة، أكسبته خبرة واسعة وأمكنته من الأسفار والتنقل في بلاد بعيدة ، وكان يسير في عمله على المبادئ التي يدعو إليها في قوله ، واشتهر بين جميع طبقات الناس بالاستقامة. وكان لا يزال صغير السن نسبياً - في الرابعة والأربعين أو الخامسة والأربعين- حين أقبل عليه في عام 594 ممثلو الطبقات الوسطى يدعونه إلى قبول ترشيحهم إياه ليكون أركوناً بالاسم Teponymos ، على أن يُمنح سلطة مطلقة لإخماد نار حرب الطبقات ، ووضع دستور جديد للبلاد، وإعادة الاستقرار إلى الدولة.

استطاع صولون بفضل قانونه الشهير قانون سيساكثيا Seisachtheia أو "رفع الأعباء" أن يلغي كما يقول أرسطاطاليس "جميع الديون القائمة سواء أكانت للأفراد أم للدولة"، وهكذا حرر أراضي أتكا من جميع رهون بجرة قلم؛ هذا إلى أنه أطلق سراح جميع من استرقوا أو التصقوا بالأرض ، وكل من بيعوا رقيقاً في خارج البلاد، وطلب إليهم أن يعودوا إلى مواطنهم، وحرّم مثل هذا الاسترقاق في المستقبل⁽¹⁰⁾.

وخليق بنا أن نذكر من خصائص الخلق في هذا المقام أن بعض أصدقاء صولون قد عرفوا ما يعتزمه من إلغاء الديون؛ فاشتروا أراضي واسعة مرتبهة ثم احتفظوا بها فيما بعد من غير أن يؤديوا ما عليها من رهون ويحدثنا أرسطاطاليس بأسلوب تهكمي بأن هذا كان منشأ ثروات طائلة كثيرة العدد، ظن الناس فيما بعد أنها ترجع إلى أزمنة لا يذكرها الناس لقدم عهدها". وقال بعض الناس إن صولون قد تغاضى عن هذا العمل وإنه استفاد منه حتى تبين بعدئذ أنه وهو الدائن الكبير قد خسر بقانونه الشيء الكثير. واحتج الأغنياء بأن هذا التشريع كان في حقيقة الأمر مصادرة لأموالهم، ولكنه أصم أذنيه عن سماع احتجاجهم ؛ ولم تمض عشرة أعوام على صدوره حتى أجمع الناس، أو كادوا يجمعون ، على أنه أنجى أتكا من الثورة⁽¹¹⁾.

الفصل الأول

ثمة إصلاح آخر من إصلاحات صولون لا نستطيع أن نتحدث عنه حديثاً يقينياً واضحاً. وفيه يقول أرسطاطاليس إن صولون قد "استبدل بالنقود الفيديونية - "Phedonian" أي النقود الأجنبية التي كانت مستعملة في أتكا حتى ذلك الوقت- "نظام عوبية النقدي على نطاق واسع وجعل قيمة المينا Mina مائة درخمة بعد أن كانت من قبل سبعين". ويقول أفلوطرخس في بيانه عن هذا الإصلاح، وهو أوفى من بيان أرسطاطاليس، "إن صولون جعل المينا تصرف بمائة درخمة بعد أن كانت ثلاثاً وسبعين، وبهذا أصبحت قيمة القطع التي تدفع أقل مما كانت قبل وإن كان عددها واحداً، وكان في هذا نفع كبير للذين يريدون أن يوفوا بديونهم، ولم يكن فيه خسارة على الدائنين".⁽¹²⁾

أ- دستور صولون

ويكل تأكيد فإن أبقى أعمال صولون هي تلك القرارات التاريخية التي أنشأ بمقتضاها دستور صولون. وقد قدم لها صولون بعفو عام أطلق به سراح كل من سجن، وأعاد إلى البلاد كل من نفي منها لجرائم سياسية إذا لم تكن هذه الجرائم هي محاولة اغتصاب مقاليد الحكم في البلاد. ثم واصل عمله بأن ألغى إلغاءً صريحاً أو ضمناً معظم شرائع دراكون؛ إلا أنه أبقى منها على القانون الخاص بعقاب القتل، وقد طبقت قوانين صولون على جميع السكان الأحرار بلا تمييز بينهم؛ فأصبح الأغنياء والفقراء على السواء مقيدين بقيد واحدة تفرض عليهم عقوبات واحدة.

وإذ كان صولون قد عرف أنه لم يستطع تنفيذ إصلاحاته إلا بمعونة طبقتي التجار والصناع، ورغبة منه في أن يجعل لهم حظاً في حكومة البلاد، فقد قسّم سكان أتیکا إلى أربع مجموعات على أساس ثروتهم: الأولى أصحاب الخمسمائة بشل Bushel وهم الذين يصل دخلهم السنوي إلى خمسمائة مكيال من الحاصلات أو ما يعادلها، والثانية هم الهبي الذين يتراوح دخلهم بين ثلاثمائة وخمسمائة بشل. والثالثة جماعة الزوجتاي Zeugitai الذين يتراوح دخلهم بين مائتين وثلاثمائة، والرابعة جماعة الثيتي Thetes وتشمل غير هؤلاء كلهم من الأحرار.

وكانت مظاهر الشرف والتكريم تتناسب مع ما يؤدي من الضرائب فلا يستمتع إنسان بالأولى من غير أن يتحمل عبء الثانية، يضاف إلى هذا أن الضرائب التي تؤديها الطبقة الأولى كانت تُفرض على ما يعادل دخلها السنوي اثني عشر مرة، والطبقة الثانية على ما يعادل دخلها عشر مرات، والثالثة على ما يعادل دخلها خمس مرات فقط؛ أي أن ضريبة

الأوضاع العامة في بلاد اليونان حتى القرن الخامس قبل الميلاد

الأملاك كانت في واقع الأمر ضريبة دخل تصاعديّة. أما الطبقة الرابعة فكانت معفاة من الضرائب المقررة.

وكانت الطبقة الأولى وحدها هي التي يمكن اختيار رجالها إلى الأركونية وإلى قيادة الجيش ، أما الطبقة الثانية فكان من حقها أن يُختار أفرادها إلى المناصب وإلى فرق الفرسان في الجيش ، وكانت الطبقة الثالثة تختص بالعمل في فرق المشاة الثقيلة ؛ وأما الرابعة فكان يُطلب إليها أن تمد الدولة بالجنود العاديين. وقد أضعف هذا التقسيم الفذ نظام القرابة الذي كانت تعتمد عليه قوة الأجركية ؛ وأحل محله مبدأً جديداً هو مبدأ "التمقراسيه" Timocracy ، أي حكم ذوي الشرف أو المنزلة ، ويحدد صراحة ما لهم من ثروة تُفرض عليها الضرائب. وكان حكم "بلوتوقراطي (يتولاه المثرون)" شبيه بهذا الحكم منتشرأً خلال القرن السادس كله وبعض القرن الخامس في معظم المستعمرات اليونانية.⁽¹³⁾

وقد أبقى دستور صولون على رأس الدولة مجلس الشيوخ القديم مجلس الأريوبجوس، بعد أن جرده من بعض ما كان له من سلطان وما كان يمتاز به من عزلة ، وبعد أن أصبح مفتوح الأبواب لجميع أفراد الطبقة الأولى ، ولكنه ظل مع ذلك صاحب السلطة العليا المهيمن على سلوك الناس وعلى موظفي الدولة. ثم أنشأ بولا Boule أو مجلساً جديداً مؤلفاً من أربعمئة عضو يلي مجلس الشيوخ في السلطة، تختار له كل طبقة من الطبقات الأربع مائة عضو. وكان هذا المجلس يختار جميع الأعمال التي تُعرض على الجمعية ويبحثها ويعدها. ووضع صولون في منزلة أدنى من هذا النظام الأجركي الأعلى الذي استرضى به الأقوياء، أنظمة ديمقراطية في أساسها ، ولعله كان مدفوعاً إلى ذلك بحسن النية ورغبة العمل على خير الطبقات الدنيا. فقد أعاد إلى الحياة الإكليزيا (Iklesia) الجمعية القديمة التي كانت قائمة في أيام هومر ودعا كل المواطنين إلى الاشتراك في مناقشاتها. وكانت هذه الجمعية تختار كل عام من بين ذوي الخمسمئة بشل الأركونين الذين كانوا حتى ذلك الوقت يعينون من قبل مجلس الأريوبجوس ؛ وكان من حقها أن تستجوب هؤلاء الموظفين في أي وقت ، وتتهمهم ، وتعاقبهم ؛ وإذا ما انقضت مدة توليهم مناصبهم، كانت تبحث في مسلكهم في السنة التي تولوا العمل فيها، وكان لها إذا شاءت أن تحرمهم حقهم في أن يكونوا أعضاء في مجلس الشيوخ⁽¹⁴⁾

وأهم من هذا الحق ، وإن لم يبدُ وقتئذٍ كذلك ، مساواة الطبقات الدنيا للطبقات العليا في حق الاختيار بالقرعة إلى الهيليايا Heliaea. وهي هيئة من خمسة آلاف من المحلفين تتألف منهم أنواع المحاكم التي تنظر في جميع القضايا عدا قضايا القتل والخيانة ، والتي يصح أن

الفصل الأول

ترفع إليها الشكاوى من أعمال الحكام على اختلاف أنواعها. ويقول أرسطوطاليس في هذا: "يظن البعض أن صولون قد تعمد إدخال الغموض على قوانينه ليتمكن العامة من استخدام سلطتهم القضائية لتقوية نفوذهم السياسي"؛ ذلك أنه "لما كان الخلاف بينهم وبين الحكام لا يمكن تسويته بتطبيق حرفية القانون، فقد كان عليهم أن يعرضوا جميع منازعاتهم على القضاة، وكان هؤلاء إلى حد ما سادة القوانين" كما يقول أفلوطرخس نفسه. وقد كان حق الاستئناف إلى المحاكم الشعبية الإسفين الذي وسع نطاق الديمقراطية الأثينية، كما كان حصنها الحصين في مستقبل الأيام وأضاف صولون إلى هذا التشريع الأساسي، وهو أهم ما في تاريخ أثينة من تشريعات، طائفة أخرى من الشرائع المختلفة يقصد بها معالجة مشكلات الوقت التي لم تكن لها مثل ما للمسائل الأساسية السابقة من خطر. وكان أول ما فعله أن جعل الثروة الفردية التي قررتها العادات قبل معترفاً بها قانونياً. وإذ كان للرجل أولاد كان عليه أن يقسم ثروته بينهم قبل وفاته، فإذا لم يكن له أولاد كان له أن يوصي لأي إنسان بأملكه التي كانت تؤول حتى ذلك الوقت ومن تلقاء نفسها لقبيلته. فبقوانين صولون بدأ حق الوصية وقانونها.

وإذ كان هو من رجال الأعمال فقد أراد أن يشجع التجارة والصناعة بمنح حق المواطنة لجميع الأجانب الذين يحذقون حرفة ما، والذين يأتون مع أسرهم ليقيموا بصفة دائمة في أثينا. وحرّم تصدير الغلات الزراعية عدا زيت الزيتون، وكان يرجو بهذا أن يحول الناس من إنتاج المحصولات الزراعية الزائدة على الحاجة إلى الاشتغال بالصناعة. وسن قانوناً يقضي بأن الولد غير ملزم بمساعدة أبيه إذا كان هذا الأب لم يعلمه حرفة خاصة. ويرجع الفضل فيما نالته الصناعات من تشريف عظيم ومكانة سامية إلى صولون- لا إلى من جاء بعده من الأثينيين.

ولم يحجم صولون عن التشريع في ذلك الميدان الخطر. ميدان الأخلاق والآداب العامة. فقد كان يعد الإصرار على البطالة جريمة، ولم يكن يسمح للرجل الذي يعيش عيشة الدعارة والفجور أن يتقدم إلى الجمعية بطلب، وجعل البغاء قانونياً وفرض على البغاة ضريبة، وأنشأ مواخير عامة، مرخصة من قبل الدولة وخاضعة لرقابتها. وشاد هيكلًا لأفرديتي بندموس من إيراد هذه المواخير.⁽¹⁵⁾

وقد جعل اغتياح الموتى جريمة، وكذلك كان اغتياح الأحياء في الهياكل والمحاكم، ومكاتب الموظفين العموميين، وفي ساحات الألعاب؛ ولكنه حتى هو نفسه لم يستطع أن يمكس السنة